

المهاجرون بالله من تعرضهم له. وهو تحول كما ترى في المستوى الاجتماعي الحضاري، وليس في الوضع العقائدي للإنسان، ومع هذا يراه الإسلام مساً خطيراً بالعقيدة. وهذا يقودنا إلى الاستنتاج أن الإسلام يعتبر عقيدة مرتبطة جوهرياً بوضع حضاري اجتماعي متقدم، هو وضع التحضر، بحيث لو إنتفى هذا الوضع وتم التراجع عنه إلى مستوى البداوة تعرضت العقيدة ذاتها للخطر، واعتبر القائم بهذا الفعل مرتداً عن عقيدته، مع إرتداده إلى الصحراء عن تحضره، وإن لم يعلن خروجه عن الإسلام.

وذلك حكم طبقه الرسول على المهاجرين معه إلى المدينة، من الذين حسن إسلامهم وقوي إيمانهم بالهجرة والصحة، حيث نخشي عليهم وعلى عقيدتهم جفاء البادية وعصبية الأعراب وإيغالهم في الجاهلية... فما بالك بالمسلم العادي من عامة الناس لو تعرض لذلك؟

من بدأ جفا

ولم ينحصر موقف الإسلام من «ظاهرة البداوة في الجزيرة العربية في هذا النهي عن العودة إلى البادية وأحوالها (وإن كان هذا النهي في سياقه الاجتماعي الحضاري الخاص يمثل في نظرنا صميم الموقف الاسمي من هذه الظاهرة لكونه نهياً عملياً حاسماً). ففي القرآن الكريم آيات واضحة وصريحة تحدد أبعاد هذا الموقف، كآية: ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً﴾ والآية: ﴿قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾.

ونلاحظ أيضاً الربط الوثيق بين الحالة الاجتماعية والحالة العقائدية الأخلاقية. فالكفر والنفاق يرتبطان بالحالة البدوية الأعرابية في الآية الأولى كما ترتبط بها قلة الإيمان مع الإسلام الظاهري في الآية الثانية بما يوحي أن الإيمان الحقيقية الذي يتطلبه الإسلام لا يتطابق وحالة البداوة وما فيها من جفاء وغلظة. وهذا يتضح من الحديث النبوي: «من بدأ جفاً أي من نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب».

ويحذر الحديث من قبول شهادة البدوي لإحتمال بعدها عن الحقيقة حيث يقول: